من مشكلات الحياة

قصة فتـــاة

تلقينا هذه الكلمة من فتاة سورية فلخصناها وعرضناها على القراء كما شاءت . وسننشر في موضوعها ما نراه أحجى بالنشر وأدنى الى الغرض

كثيرات هن اللواتي يغبطنني على حياتي ، ويتمنين لو أتاح لهن الحظ حياة مثلها . يرون فيّ كما يرى بقيـة الناس شابة جميلة ، أريح من وراء مهنتي ميلداً يدنى حياتي من الرفاهية ، وماذا أبتغي من الحياة بعد ؟ . . .

ولكن آه ! لشد ما أعاني من الألم في اخفاء حقيقة نفسي ، وظهوري أمام الناس بهذا الوجه الباسم ، والعينين الممتلئتين نشاطاً واغتباطاً وبهجة . حقاً إن أشقى الناس ذلك الذي ينزل الى قرارة نفسه ، وهناك في أعماقها يدفن ما يعاني من ألم ممض وشقاء ملازم — وهكذا الأيام تمر ، والسنون تكر ، وآلامي مدفونة لا أستطيع الجهر بها حتى لأقرب الناس إليّ ، لأنهم هم مسببوها ومُصَعبوها من حيث يشعرون أو لا يشعرون . . .

ولدت في أحضان الترف والنعيم ، وربيت في حجر الدلال والرفاهية ، محاطة بالحب ، مغمورة بالأعزاز ، ولكن ما كدت أتجاوز العاشرة من العمر حتى أصيب والدي بنكبة ماليـة زعزعت كياننا وقلبت كل شيء رأساً على عقب . كنت صغيرة حينذاك ، ومن كانت في هذه السن لا تهتم إلا بالمرح واللعب ، ولكن كان الأمر مبنياً على النقيض ، بدأت أشعر بفداحة المصاب وأتألم بقلبي الصغير ألماً هادئاً ساكناً ، ولما كنت بكر والديّ ، وكنت محور آمال أبي لما يرى من جدي واجتهادي في المدرسة ، كان يؤثرني بعطفه ويخصني بمحبته . كان لا يرى بداً من تعليمي والأنفاق عليّ . وفي الرابعـة عشرة من عمري أرسلني الى مدرسة ليلية أجنبية بعد أن نلت الشهادة الابتدائية بتفوق عظيم ، ولقد مضى على هذه الحادثة ما مضى وأنا أتصورها بنت الساعة . أودعني ذلك الوالد الحنون المدرسة ، وأوصى بي الرئيسة والأخوات خيراً . وبعـد ثلاثة أيام زارني قبل سفره ليستفهم عما إذا كنت في حاجة الى شيء ؟ وأعلمني بعزمه على السفر ، وزودني بنصائحه الغالية ، فاغرورقت عيناي بالدموع ، وتكلفت الابتسام لأخفي ألمي لهذا الفراق الذي كان أول عهدي به ، فضمني الى صدره وغمر رأسي بقبلاته ثم بكى ، وكأنه أبصر بعيني بصيرته ما ينتظرني من ألم وشقاء

قضيت حياة المدرسة ، وبدأت حياة العمل لأرفه عن هذا الوالد الحنون بعض ما يعانيه في إعالة أمي وأخواتي ، منغبطة في قرارة نفسي بأنني استطعت أن أكافئه بعض المكافأة . ولكن جمالي وثقافتي وسيرتي الحسنة بين أترابي كانت تستثير الناس لطلب يدي ؛ وما من شاب من الطبقة الراقية في تعليمها أو في ثروتها إلا تمنى أن أكون له ، ولكن كان الجواب دائماً سلباً ، ولما كان قلبي لم يتفتح لحب بعد ، كنت لا أعير هذه المسائل شيئاً من الاهتمام ، وكنت أعتقد أن كل فتاة تقدم على الزواج مجنونة ولا أريد أكونها

قاوم أبي تلك النكبات التي كانت تهاجمه بصبر وثبات ، ولكنها أخيراً خرجت عن طوقه فأصيب بالشلل ، وها هو الآن ليس بالميت فينسى ولا بالحي فيُرجى . وخلف لي أعباء ثقالاً لا قبل لمن كانت في مثل سني باحتمالها ، وشعرت بخطورة المسئولية الملقاة على عاتقي ، فكنت أقضي نهاري في العمل على الآلة الكاتبة وأعود في المساء باشة هاشة ضناً بوالدتي عن أن أحملها هماً فوق هم ، وبأخواتي اللواتي ينتظرن من عودتي الملاطفة والحلوى عن أن أخيب آمالهن . المستقبل قاتم لا ألمح فيه قبساً من أمل ، والغد مجهول لا أعلم ماذا يحمل بين طياته ، ولا أدري ماذا يكون المصير

طالبو الزواج يريدونني بالحاح ، وأمي ترفض بدعوى أن ليس بينهم من يستحق يدي ، فكل شاب لا يخلو من عيب ، وهي تريده ملاكاً لملاكها ، إذاً فلننتظر ولننتظر ، ولكن الانتظار طال . وفهمت ، ولكن في وقت متأخر أنها محاولات ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . فشقيقاتي الصغيرات تزوجن ، ووالدتي لم تبد في أمرهن تلك الملاحظات التي عودتنيها ، واثنتان منهن أصبحتا أمَّين ، وأنا أنظر بعيني والألم يصهر نفسي والأباء يعقد لساني عن الافصاح عما يخالجني . هي تريد إبقائي عذراء أشتغل وأشتغل حتى الموت لأعولها مع بقية أطفالها . ولو أنها أفصحت لي عن غايتها لكتبت لها صكاً على نفسي أنني سأظل أشتغل الى أن يكبر أطفالها !! هي تحبني ، لا أشك في ذلك ، ولكن هذا لأنني أبذل في إسعادهم قلبي ومستقبلي وسعادتي !!

لقد ضقت ذرعاً بهذه الحياة ولم يبق في قوس الصبر منزع ، خلقتُ أنثى وحرمتُ ما ينعم به مثيلاتي ويسعدن ، واشتغلت كالذكور وحرمت الحرية التي يتمتع بها الذكور !!

لذلك عولت على أن أطرح هذه الصفحة الموجزة أمام قراء « الرسالة » وقارئاتها علني أجد بينهم من يرشدني برأي ينقذني من هذه الحيرة ؟

(. . .)